سالم
موقع التفريغ
للدروس العلمية والبحوث الشرعية
www.attafreegh.com

شرح «كشف الشبهات»

الدرس الحادي عشر

لفضيلة الشّيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ
حفظه الله تعالى

النُّسخة الإلكترونيَّة (٢)

الشيخ لم يراجع التفريغ

أخي الطالب إرسالك للأخطاء التي تتخلل التفريغ يسهِّل إخراج نسخة مصححة
attafreegh@gmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الدرس الحادي عشر

- فَإِنْ قَالَ: أَنَا لَا أعْبُدُ إِلَّا اللهَ، وَهٰذا الالْتِجاءُ إِلَىٰ الصَّالِحِينَ وَدُعاؤُهُمْ لَيْسَ بِعِبادَةٍ. فَقُلْ لَهُ: أَنْتَ تُقِرُّ أَنَّ اللهَ افْتَرَضَ عَلَيْكَ إِخْلاَصَ الْعِبَادَةِ وَهُوَ حَقُّهُ عَلَيْكَ.

فَإِذَا قَالَ: نَعَمْ. فَقُلْ لَهُ: بَيِّنْ لِي هٰذا الَّذِي فَرَضَهُ اللهُ عَلَيْكَ وَهُوَ إِخْلاَصُ العِبَادَةِ للهِ وَحْدَهُ، وَهُوَ حَقُّهُ عَلَيْكَ، فَإِنَّهُ لَا يَعْرِفُ العِبادَةَ وَلَا أنْوَاعَهَا، فَبَيِّنْهَا لَهُ بِقَوْلِكَ: قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾[الأعراف:٥٥]، فَإِذَا أَعْلَمْتَهُ بِهٰذَا، فَقُلْ لَهُ: هَلْ عَلِمْتَ هٰذَا عِبَادَةً للهِ [تَعَالَىٰ]؟ فَلا بُدَّ أَنْ يَقُولَ: نَعَمْ، وَالدُّعاءُ مُخُّ العِبَادَةِ. فَقُلْ لَهُ: إِذَا أَقْرَرْتَ أَنَّهُ عِبادَةٌ، وَدَعَوْتَ اللهَ لَيْلًا وَنَهَارًا، خَوْفًا وَطَمَعًا، ثُمَّ دَعَوْتَ فِي تِلْكَ الحَاجَةِ نَبِيًّا أَوْ غَيْرَهُ هَلْ أَشْرَكْتَ فِي عِبَادَةِ اللهِ غَيْرَهُ؟ فلابُدَّ أَنْ يَقُولَ: نَعَمْ. فَقُلْ لَهُ: إِذَا عَلِمْتَ بِقَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢﴾[الكوثر] وَأَطَعْتَ اللهَ وَنَحَرْتَ لَهُ، هَلْ هٰذا عِبَادَةٌ؟ فَلابُدَّ أَنْ يَقُولَ: نَعَمْ. فَقُلْ لَهُ: إِذَا نَحَرْتَ لَمَخْلُوقٍ؛ نَبِيٍّ، أَوْ جِنِّيٍّ، أَوْ غَيْرِهما، هَلْ أَشْرَكْتَ فِي هٰذه العِبَادَةِ غَيْرَ اللهِ؟ فَلَابُدَّ أَنْ يُقِرَّ وَيَقُولَ: نَعَمْ. وَقُلْ لَهُ أَيْضًا: المُشْرِكُونَ الَّذِينَ نَزَلَ فِيهِمُ القُرْآنُ، هَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ المَلائِكَةَ وَالصَّالِحِينَ وَاللَّاتَ وغَيْرَ ذَلِكَ؟ فَلابُدَّ أَنْ يَقُولَ: نَعَمْ. فَقُل لَهُ: وَهَلْ كَانَتْ عِبَادَتُهُمْ إِيَّاهُمْ إِلاَّ فِي الدُّعَاءِ وَالذَّبْحِ وَالالْتِجَاءِ وَنَحْوِ ذَلِكَ، وَإِلَّا فَهُمْ مُقِرُّونَ أَنَّهُمْ عَبِيدُه تَحْتَ قَهْرِ اللهِ، وَأَنَّ اللهَ هُوَ الَّذِي يُدَبِّرُ الأَمْرَ، وَلَكِنْ دَعَوْهُمْ وَالتَجَأُوا إِلَيْهِمْ لِلْجَاهِ وَالشَّفَاعَةِ، وَهٰذا ظاهِرٌ جِدًّا.

بسم الله الرَّحمٰن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام علىٰ رسول الله، وعلىٰ آله وصحبه ومن اهتدىٰ بهداه.

نشهد أنَّ لا إلٰه إلا الله، وأنَّ محمدًا عبده ورسوله، صلىٰ الله وسلم وبارك عليه وعلىٰ الآل والصحب أجمعين، وعنا معهم بعفوك ورحمتك يا أرحم الرَّاحمين.

اللَّهمَّ نسألك علمًا نافعا وعملا صالحا وخالصًا.

اللَّهمَّ نعوذ بك أن نَضل أو نُضل، أو نَزل أو نُزل، أو نَجهل أو يُجهل علينا.

اللَّهمَّ اجعل قلوبنا خاشعةً لك وعيوننا دامعةً لك.

اللّٰهمَّ وهيئ لنا من أمرنا رشدا، نعوذ بك من فتنة المحيىٰ وفتنة الممات ومن فتنة المسيح الدجال ومن فتنة القبر.

وهٰذه صلة للكلام علىٰ ما قرَّره إمام هٰذه الدَّعوة رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ في (كشف شبهات المشركين)، فإنّ المشركين لهم شبهات متنوّعة قد مرّ معنا أعظم شبهاتهم وأكثرها تفصيلًا.

ثُم يأتي الآن من شبهاتهم ما انتشر فيهم؛ لكنّه عن طريق المكابرة والجهل.

فقال طائفة منهم: إنَّهم لا يعبدون إلا الله، وإنّ الالتجاء إلىٰ الصالحين وسؤال الصالحين ودعاءهم والاستغاثة بهم ليس بعبادة. وهٰذا هو الذي ذكره الإمام رَحِمَهُ اللَّهُ في قوله: (فَإِنْ قَالَ: أَنَا لَا أَعْبُدُ إِلَّا اللهَ)، وإذا قال الشيخ في هٰذا الكتاب: (فَإِنْ قَالَ) فلا يستحضر أن الذي يقول بهذه الشبهة هو الذي قال بالشبه التي قبلها؛ بل هو يستحضر جنس المدلين بالشبه، فقال: (فَإِنْ قَالَ) يعني الذي يورد الشبهة أو الذي يقع في الشرك، وقد يكون من الأولين وقد لا يكون.

قال: (فَإِنْ قَالَ: أَنَا لَا أَعْبُدُ إِلَّا اللهَ، وَهٰذا الالْتِجَاءُ إِلَىٰ الصَّالِحِينَ وَدُعاؤُهُمْ لَيْسَ بِعِبادَةٍ) وهٰذه يقولها كل مشرك فإنه ما من مشرك يُقِرُّ علىٰ نفسه بالشِّرك وبأنه يعبد غير الله جل وعلا؛ لأن هٰذه الأمة ببعثة محمد ﷺ أُنقِذت من الشرك إلىٰ التوحيد ومن عبادة غير الله إلىٰ عبادة الله وحده دونما سواه.

وكل أحد من هٰذه الأمة يقول: أنا لا أعبد إلا الله. وقد يكون مصيبًا في قولِه، وفعلُه يحقق قوله، وقد يكون ضالا يقول شيئا وهو يخالفه إلىٰ غيره.

وهٰذه المخالفة ناتجةٌ عن أنَّه يظنّ أنّ ما يفعله من صرف العبادة لغير الله أنه ليس بشركٍ وليس بعبادة، فعنده أنَّ الدعاء؛ دعاء غير الله ليس بعبادة، وأنَّ الالتجاء إلىٰ الصالحين وسؤال الأولياء الأموات كشف الكرب ورفع الضُّر والشفاعة وأشباه ذلك أنه ليس من العبادة، وكذلك يزعمون أنَّ النّحر لهم والذبح ليس بعبادة، وأنّ النذر لهم ليس بعبادة، وهكذا، فما من صورة شركية يفعلها أهل الشرك إلا وإذا احتججت عليهم بأنّ فعلهم شركٌ قالوا: نحن لا نعبد إلا الله، وهٰذه الأشياء التي نفعلها ليست بعبادة، وإنما هي للوسيلة، وأما العبادة فإنما هي لله وحده دونما سواه.

وهٰذا القول منهم دعوىٰ بلا برهان ولا دليل؛ بل هم المشركون الذين عبدوا مع الله جل وعلا غيره.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ مقرّرا لشبهتهم ومستحضرا الجدال والحجاج مع رجل منهم: (فَإِنْ قَالَ: أَنَا لَا أَعْبُدُ إِلَّا اللهَ، وَهٰذا الالْتِجَاءُ إِلَىٰ الصَّالِحِينَ وَدُعاؤُهُمْ لَيْسَ بِعِبادَةٍ. فَقُلْ لَهُ) فترتَّبت هٰذه الشبهة علىٰ مرتبتين:

الأولىٰ: زعمه أنه لا يعبد إلا الله.

المرتبة الثانية: زعمه أنّ الالتجاء إلىٰ الصالحين ودعاء الصالحين بأنواع الدعاء من الاستغاثة والاستعانة والاستشفاع إلىٰ آخره أنه ليس بعبادة.

والثانية هي التي قادتهم إلىٰ الأولىٰ؛ لأجل عدم وضوح الثانية قالوا: إنهم لا يعبدون إلا الله، فلهٰذا الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ ابتدأ بالثانية لأنها هي وسيلة إثبات صحة الأولىٰ أو خطأ المرتبة الأولىٰ.

قال: (فَقُلْ لَهُ: أَنْتَ تُقِرُّ أَنَّ اللهَ [افْتَرَضَ] عَلَيْكَ إِخْلاَصَ الْعِبَادَةِ وَهُوَ حَقُّهُ عَلَيْكَ) فتسأله وتقول له: هل تقر بأن الله فرض عليك إخلاص العبادة وأنّ العبادة حق الله عليك؟ لأن الله أمر بها في القرآن في قوله: ﴿فَٱدۡعُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ١٤﴾[غافر]، وفي قوله جل وعلا في سورة الزمر: ﴿قُلِ ٱللَّهَ أَعۡبُدُ مُخۡلِصٗا لَّهُۥ دِينِي ١٤ فَٱعۡبُدُواْ مَا شِئۡتُم مِّن دُونِهِۦ﴾، وكذلك في آية البينة، وغير ذلك من الآيات الكثيرة التي فيها إثبات وجوب الإخلاص لله جل وعلا، وهٰذا نوع من الأدلة التي فيها الأمر بالإخلاص.

والنوع الثاني من الأدلة الذي فيه الأمر بالإخلاص بيان أن المشرك الذي لم يخلص لله جل وعلا أنه كافر [1] وأنه من أهل النار، كقول الله جل وعلا: ﴿فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ١١٠﴾[الكهف]، وكقول الله جل وعلا: ﴿وَقَالَ ٱلۡمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۖ إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ٧٢﴾[المائدة] ونحو ذلك من الآيات التي فيها بيان مصير المشرك الذي جعل مع الله في العبادة غيره؛ يعني لم يخلص دينه لله، وأشباه ذلك من الأدلة.

فتقول له: أنت تُقِرّ بأنَّ الله فرض عليك إخلاص العبادة وهو حقُّ الله عليك. وكل منتسب للقبلة يقول: نعم أنا مُقِر بأن الله جل وعلا فرض علينا الإخلاص -إخلاص العبادة-، وأن إخلاص العبادة حق الله علينا.

قال الشيخ: (فَإِذَا قَالَ: نَعَمْ. فَقُلْ لَهُ: بَيِّنْ لِي [هٰذا] الَّذِي فَرَضَهُ اللهُ عَلَيْكَ وَهُوَ إِخْلاَصُ العِبَادَةِ للهِ وَحْدَهُ) تسأله عن بيان هٰذا الذي يقر أن الله فرضه عليه، وكثير بل الأكثر من المشركين جهّال؛ لا يعلمون

---

[1] انتهى الوجه الأول من الشريط الثامن.

معنىٰ العبادة، ولا يعلمون معنىٰ الإخلاص، ولا يعلمون معنىٰ الذي فرض الله جل وعلا عليهم، ولهٰذا فإذا سألته عن هٰذه فإنه لن يجيب؛ بل سيقول: لا أعرف معنىٰ العبادة أو لا أعرف جواب هٰذا؛ بل إخلاص العبادة لله أن أصلي لله وأزكي لله وأشباه ذلك، فإنه يجعل الإخلاص في بعض الصور.

لهٰذا قال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ: (**فإن كان لَا يَعْرِفُ العِبادَةَ وَلَا أَنْوَاعَهَا، فَبَيِّنْهَا لَهُ بِقَوْلِكَ**) إلىٰ آخره، (**فإن كان لَا يَعْرِفُ العِبادَةَ وَلَا أَنْوَاعَهَا، فَبَيِّنْهَا لَهُ**)، وهٰذا خلوص منه في الحِجاج إلىٰ تعليم الجاهل، فإن المحتجّ علىٰ الخصم لا يسوغ أن ينزِّله دائما منزلة المعاند أو أن يجعله معاندا فيُغلظ له في القول ويغلظ له في الحجة؛ لأنه ربما نفر من ذلك وانتصر لنفسه وترك سماع الحجة، فإنك تستدرجه حتىٰ يُقِرَّ بأنه جاهل، فإذا أقرَّ بأنه جاهل لا يعرف معنىٰ العبادة ولا يعرف معنىٰ الإخلاص ولا يعرف معنىٰ الدعاء وأشباه ذلك، فإنك تبيِّن له ذلك حتىٰ تقوم الحجة علىٰ أفرادٍ واضحة في قلبه وفي عقله وذهنه.

لهٰذا هٰذا الحوار الذي ذكره إمام الدّعوة فيه فائدة عظيمة ذكرتُها لك الآن؛ **وهي أنه من أقوىٰ وأنفع وسائل الحِجاج أن تنزِّل من أمامك منزلة الجاهل**، حتىٰ تنقلب معه إلىٰ معلِّم غير مناظر؛ لأنّ المعلم دائما أعلىٰ من المتعلِّم؛ أعلىٰ من جهة الحجة وأعلىٰ من جهة قَبول المتعلم لما يقول، فإنّ المقابل لك إذا أحسّ أنه عندك علمًا ليس عنده فإنه سيصير إلىٰ الاستفادة منك، وهٰذا يُثير كثيرا من النفوس في قَبول الحق إذا علم أنَّه جاهل بما أَوْجب الله جل وعلا عليه وهو يدّعي شيئًا يجهله، فهٰذه وسيلة من الوسائل العظيمة في الحجة وفي جواب الشُّبهة.

فإذن نستفيد من هٰذا أننا إذا رأينا من هو مشركٌ بالله جل وعلا أو من جادل عن نفسه بأنه ليس بمشركٍ فإنه لا يَحسُن أن يُنَزَّل دائما منزلة المعانِد الذي تُقام عليه الحجة بنوع من الشدة والغِلظة؛ بل يُنظر في أمره ويُستدرج حتىٰ يُجعل في منزلة الجاهل، وإذا كان كذلك فإنك تُقيم عليه الحجة وتعلمه دين الله جل وعلا.

قال: (**فإن كان لَا يَعْرِفُ العِبادَةَ وَلَا أَنْوَاعَهَا، فَبَيِّنْهَا لَهُ**) والعبادة سبق أن أوضحنا معناها في شرح «ثلاثة الأصول» وفي «كتاب التوحيد»، وأنَّ العبادة تحصل معرفتُها في الأدلة من الكتاب والسنة بنوعين من الاستدلال:

أما النوع الأول من الاستدلال: فالنصوص التي فيها الأمر بالعبادة بعبادة الله وحده دون ما سواه، وأنَّ مَن صرف العبادة لغير الله فهو كافر مشرك.

كقول الله جل وعلا في الأول: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١ ﴾[البقرة] الآية في أول البقرة.

ومن الثاني قول الله جل وعلا في آخر سورة المؤمنون: ﴿ وَمَن يَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرۡهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ١١٧ ﴾.

ومن السنة قول النبي ﷺ: «**الدعاء هو العبادة**».

فإذا بينت له هٰذه الأدلة بعامة فتقول له: نعلم أنّ هٰذا الشيء عبادة لأن الله جل وعلا أمر به أو أمر به رسوله ﷺ، فإذا كان هٰذا الشيء مأمورا به علمنا أنه عبادة؛ لأن الله جل وعلا لم يأمرنا إلا للتعبّد، فصحّ أن هٰذا الذي أُمِرنا به أمر إيجاب فإنه عبادة وكذلك أمر استحباب. فتقول له:

أمرنا الله جل وعلا بإخلاص الدين له، فإذن إخلاص الدين لله عبادة.

أمرنا الله جل وعلا بخوفه، فالخوف عبادة.

أمرنا الله جل وعلا برجائه، فالرجاء عبادة.

أمرنا الله بالصلاة، فالصلاة عبادة.

أمرنا الله بالزكاة، فالزكاة عبادة.

أمرنا الله بالنحر، فالنحر عبادة.

أمرنا الله بكذا وكذا فهٰذه عبادات، وهٰذا النوع الأول من الاستدلال.

والنوع الثاني: ما جاء في كل مسألة من تلك المسائل التي عددناها من العبادة؛ لأن الله أمرنا بها، ما جاء في كل مسألة من دليل خاص يُثبت وجوب اختصاص الله جل وعلا بهٰذا النوع من العبادة.

فإذن الدليل الأول دليل عام، تقول: إن هٰذا الشيء قد أمر الله جل وعلا به فهو عبادة، والله جل وعلا أمرنا أن نعبده دون ما سواه وأخبرنا أنّ من عبد غيره فإنه مشرك كافر.

والنوع الثاني من الأدلة والاستدلال ما كان في كل مسألة بحسبها فنقول مثلا: أمر الله جل وعلا بإفراده بالعبادة بقوله: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾[الفاتحة:٥] فقدّم المفعول علىٰ الفعل والفاعل ليفيد الاختصاص؛ اختصاص العبادة به وقصر العبادة عليه وحده دونما سواه، وقال: ﴿وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾[الفاتحة:٥]، فقدّم المفعول علىٰ الفعل ﴿ نَسۡتَعِينُ ﴾ والفاعل؛ ليدلنا علىٰ أن الاستعانة في العبادة إنما تكون بالله جل

وعلا وحده هو المختص بها، وكذلك قوله جل وعلا: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ﴾[الأنعام]، فيها أنَّ هٰذه الأشياء لله وحده المستحقة؛ يعني الصلاة والنسك مستحقة لله دون ما سواه لا شريك له.

كذلك تأتي للإنابة والتوكل فتقول قال الله جل وعلا: ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾﴾[هود][1] فدل على أن التوكل عليه وحده دون ما سواه لأنه قدم الجار والمجرور على ما يتعلق به وهو الفعل فدلّ على اختصاص التوكل بالله جل وعلا؛ يعني بأن التوكل يكون عليه وليس على غيره، وكذلك الإنابة فإنها إليه لا إلى غيره، وهكذا في غيرها من المسائل.

وكذلك الدعاء، فإن الدّعاء أمر الله بدعائه وحده فقال: ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿١٤﴾﴾[غافر]، وقال: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾[الجن].

إذن فتُوضح له معنى العبادة، ثم توضح له الأمر بالعبادة بأن يُعبد الله دون ما سواه، ثم تبيِّن له ما أمر الله به وأنّ كل مسألة مما أمر الله به أنها تدخل في العبادة؛ فدخل الذّبح في العبادة، ودخلت الصلاة في العبادة، ودخل الخوف في العبادة، ودخل التوكل في العبادة، ودخلت الاستغاثة في العبادة، ودخل الرجاء في العبادة، إلى آخر مفردات توحيد العبادة.

ثم بعد ذلك تُقيم له الدليل الثاني أو النوع الثاني من الأدلة والاستدلال بأنّ الله في القرآن والنبي ﷺ في السنة جعل هٰذه الأنواع مختصة به وحده دون ما سواه، فصار الدليل من جهتين:

- من جهة دخولها في العبادة والله أمر بعبادته وحده دون ما سواه.
- ومن جهة أن الله جعلها مختصة به دون ما سواه.

وهٰذان نوعان من الأدلة يكثر أفرادهما، وتكثر الآيات والأحاديث في كل واحد من هذين النوعين.

فإذا بيَّنت له ذلك فقد تم البيان في إيضاح أن هٰذه المسائل من العبادة.

والشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى مثل بذلك بمثال، بمثال في الدعاء؛ لأن الدعاء هو الذي يدخل فيه كثير من الصور، فقال: (فَبَيِّنْهَا لَهُ بِقَوْلِكَ: قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾)، وفي قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (فَبَيِّنْهَا لَهُ

---

(١) وهي أيضا في سورة الشورى الآية: ١٠.

بِقَوْلِكَ: قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ) أنَّ حجة الموحد يجب أن تكون دائما في الأدلة وألاّ يحتج بحجج عقلية؛ لأنه قد يكون الخصم عنده من العقليات ما ليس عند الموحد فيغلبه إما بتأصيل أو برد إلىٰ المنطق أو ما أشبه ذلك، فتضعف حجة الموحد؛ ولكن يبيِّن له الحجة بالأدلة؛ ثم يوضح له وجه الاستدلال من الدليل، قال: (فَبَيِّنْهَا لَهُ بِقَوْلِكَ: قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾) ووجه الاستدلال من هٰذا الدليل أن الله جل وعلا أمرنا بدعائه، فيكون الدعاء عبادة؛ لأنه مأمور به، وأمر بدعائه تضرعا وخفية، وسبب ذلك أن المشركين يدعون آلهتهم التي يعبدونها مع الله أو من دونه يدعونها جِهارا يدعونها برفع الصوت، والله جل وعلا حي سميع بصير أقرب إلىٰ الداعي من نفسه ومن عُنق راحلته، فلما أمر الله جل وعلا بذلك علمنا أن هٰذا مخالفة لصنيع المشركين، قال سبحانه: ﴿ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ وذلك؛ لأنه سبحانه يعلم السرَّ وأخفىٰ، وقد قال الحسن رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ: ما كان دعاؤهم إلا فيما بينهم وبين ربهم إلا همهمة. أو قال: إلا حديثا بينهم وبين ربهم حتىٰ إنه يدعو الداعي والرجل بجنبه لا يسمعه. في حديثٍ له ساقه ابن جرير رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ في «تفسيره» ونقله عنه أيضا ابن كثير وجماعة، فالتضرع والخُفْيَة صفة الداعي.

فنقول له: أليس الدعاء؛ دعاء الرب جل وعلا علىٰ هٰذه الحالة عبادة لله جل وعلا؟ (فَلا بُدَّ أَنْ يَقُولَ: نَعَمْ، وَالدُّعاءُ مُخُّ العِبَادَةِ) يعني أن الدعاء لبّ العبادة، فإن العبادة أنواع وأعظم أنواعها الدعاء، ولهٰذا قال عليه الصلاة والسلام: «**الدعاء هو العبادة**» تعظيمًا لشأن الدّعاء، كما قال: «**الحج عرفة**»، فالدعاء مخ العبادة ومعظمها ولبّها، ولهٰذا قال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ: (فَلا بُدَّ أَنْ يَقُولَ: نَعَمْ)، (وَالدُّعاءُ مخ العِبَادَةِ) هٰذه جملة استطرادية، (فَقُلْ لَهُ: إِذَا أَقْرَرْتَ أَنَّهُ عِبَادَةٌ) لأنّ الخصم لابد أن يقر أن دعاء الله وحده عبادة، قال: (إِذَا أَقْرَرْتَ أَنَّهُ عِبَادَةٌ، وَدَعَوْتَ اللهَ لَيْلًا وَنَهَارًا، خَوْفًا وَطَمَعًا، ثُمَّ دَعَوْتَ فِي تِلْكَ الحَاجَةِ نَبِيًّا أَوْ غَيْرَهُ) تبدأ تناقشه بعد تعريف العبادة وما قدمنا.

تقول: إذا دعوتَ الله وحده ليلا ونهارا في حاجة خوفًا وطمعًا، ثم في هٰذه الحاجة بعينها سألت الوليَّ أو الميت أو صاحب السّر أو صاحب المشهد أو صاحب القبة أو ما أشبه ذلك، دعوته وسألته هٰذا السؤال، هل يكون هٰذا شركا في العبادة أم لا؟ فلابد أن يقول: نعم. لم؟ إلا أن يكون مكابرا، لابد أن يقول: نعم. لأن عين الشيء سأله الله جل وعلا ودعا به الله وحده طمعا وخوفا ورجاء ليلا ونهارا، ثُم

تَوَجَّه به إلىٰ غير الله في الحاجة عينها، فلابد أن يقول: نعم، سألتُ الله الحاجة وسألتُ الولي الحاجة، فيقول: نعم هٰذا شرك بالله جل وعلا.

لهٰذا قال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ: (فَقُلْ لَهُ: إِذَا أَقْرَرْتَ أَنَّهُ عِبَادَةٌ، وَدَعَوْتَ اللهَ لَيْلًا وَنَهَارًا، خَوْفًا وَطَمَعًا، ثُمَّ دَعَوْتَ فِي تِلْكَ الحَاجَةِ نَبِيًّا أَوْ غَيْرَهُ هَلْ أَشْرَكْتَ فِي عِبَادَةِ اللهِ غَيْرَهُ؟ فلابُدَّ أَنْ يَقُولَ: نَعَمْ. فَقُلْ لَهُ: **فإذا عملت بقول الله تعالىٰ:** ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢﴾[الكوثر]) هٰذه صورة ثانية، الصورة الأولىٰ في الدعاء، الصورة الثانية في النحر.

قال: (**فإذا عملت بقول الله تعالىٰ:** ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢﴾) يعني انحر لربك ولا تنحر لغيره، ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥ﴾[الأنعام]، قل له: إذا نحرتَ لله وحده، وذكرتَ اسم الله علىٰ الذبيحة، ونحرت الإبل أو البقر أو ذبحت الذبائح متقربا بها إلىٰ الله جل وعلا؛ هل هٰذا عبادة؟ فسيقول: نعم هٰذا من أعظم العبادات؛ لأن الذبح في الأضاحي والنحر في الحج وأشباه ذلك، هٰذا من أعظم العبادات لله جل وعلا، (فَقُلْ لَهُ: إِذَا نَحَرْتَ لِمَخْلُوقٍ) يعني تقربت بهٰذا الدم لمخلوق كما فعلت بأن تقربت بدم آخر لله فتقرَّبت بالدم لمخلوق، فما الفرق بين هٰذا وهٰذا؟ لا فرق؛ لأنك تقربتَ بالذبح الأول لله، وبالذبح الثاني تقربت للنبي أو لولي أو لصالح، أو لجني تخاف شره، أو لساحر أو ما أشبه ذلك، (هلْ أَشْرَكْتَ فِي هٰذه العِبَادَةِ غَيْرَ اللهِ؟ فَلَابُدَّ أَنْ يُقِرَّ وَيَقُولَ: نَعَمْ.) لأنه لا مفرّ له، فعين الفعل فعلته لله والفعل عينه فعلته لغير الله، فهل هٰذا شرك أم لا؟ فلابد أن يقول: إن هٰذا النوع عبادة لغير الله؛ لأني قصدت بها غير الله، وذاك عبادة لله لأني قصدت بها الله جل وعلا. ولا يمكن أن يقول في الصورة الثانية: إن هٰذا ليس بعبادة ولم أقصد بها غير الله؛ لأنه حين فعل تقرُّبا إلىٰ الله بالذبح أقر بأن الذبح عبادة وحين توجه إلىٰ غير الله بهٰذا الذبح وبإراقة الدم أقرّ بأن هٰذه العبادة توجه بها لغير الله، فلابد إذن أن يقول: نعم. للحجة.

وهٰذا تمام الوجه الأول من هٰذا الاحتجاج، وهو ظاهر بيّن قوي في أن يُتدرَّج مع المشرك ومع هٰذا الذي يَعبد غير الله ويدعو غير الله ويستغيث بغير الله -نعوذ بالله من الخِذلان- أو يذبح لغير الله أو أنواع الصور الشركية، فإنه يُتدرَّج معه في هٰذا حتىٰ يُقر بأنّ الحجة واضحة، وأنه إذا فعل ذلك فقد عَبَد مع الله جل وعلا غيره، نسأل الله السلامة والعافية.

وعلىٰ هٰذا الاحتجاج ولابد أن يُقر، وما أُمر به فهو عبادة هٰذا باتفاق العلماء، فإنْ جادلت عالما فإنه إن لم يكن مكابرا فسيُقر بأن ما أُمر به عبادة؛ لأنّ الله جل وعلا لا يأمر بشيء ويكون مباحا، لابد أن يكون عبادة، إما أن تكون عبادة واجبة أو أن تكون عبادة مستحبة يترتب عليها الثواب.

وإذا كان لا يعلم فليس بعالم فتدرجه مثل ذكرنا مثل ما ذكر الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ، حتىٰ ولو كان عالما فإنك إذا ذكرت هٰذه الحجج مع المقدمات التي ذكرنا فإنها أبلغ ما يكون من الحِجاج معه.

والْحَظْ أن الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ اختار هٰذا النوع من الحجاج لتجربته ولكثرة ما جادل عن المشركين، فهو أعلم رَحِمَهُ اللَّهُ بالحجة الأقوىٰ وبالشبه التي أدلىٰ بها الخصوم وكيف تُكْشَف هٰذه الشبه، هٰذا نوع.

وأما النوع الثاني قال: (وَقُلْ لَهُ أَيْضًا) يعني هٰذه الوجهة الثانية، وهٰذه الوجهة أيضا متجهة إلىٰ المرتبة الثانية فيما قاله المشرك حيث قال: هٰذا الالتجاء إلىٰ الصالحين ودعاؤهم ليس بعبادة. فبينا له أنه عبادة لما ذكرنا أولا.

فإذن تكون النتيجة أنه يعبد غير الله، فيكون... قوله: أنا لا أعبد إلا الله. قولٌ ليس له نصيب من الصحة؛ بل هو قول مجرّد دعوىٰ.

النوع الثاني قال: (وَقُلْ لَهُ أَيْضًا) وهٰذا وجه آخر من الحجة (المُشْرِكُونَ الَّذِينَ نَزَلَ فِيهِمُ القُرْآنُ، هَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ المَلائِكَةَ وَالصَّالِحِينَ وَاللَّاتَ وغَيْرَ ذَلِكَ؟فَـ)إنه (لابُدَّ أَنْ يَقُولَ: نَعَمْ.) إن كان عارفا لما حصل من المشركين، وإن كان غير عالم بذلك فتُقيم عليه الحجة بإيضاح حال شرك المشركين بما قدمناه لك في الدروس السابقة، فإذا أقمت عليه ذلك وأوضحته فلابد أن يقول: نعم. لأن القرآن أوضح ذلك أتم إيضاح.

قال: (فَقُلْ لَهُ: وَهَلْ كَانَتْ عِبَادَتُهُمْ إِيَّاهُمْ إِلاَّ فِي الدُّعَاءِ وَالذَّبْحِ وَالالْتِجَاءِ وَنَحْوِ ذَلِكَ) عبادتهم لآلهتهم فيما كانت؟ إنما كانت في الدعاء كانوا يدعونهم قال: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾[الزمر:٣]، يعني ما ندعوهم إلا ليقربونا إلىٰ الله زلفىٰ، وكانوا يذبحون لغير الله، كما في حديث ثَابِت بن الضّحّاكِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنَّ رَجُلا نَذَرَ أنْ يَنْحَرَ إبِلًا بِبُوَانَةَ، فسأل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال له: «**هَلْ كَانَ فِيهَا وَثَنٌ مِنْ أَوْثَانِهِم؟**». قال: لاَ. قالَ: «**فهَلْ كَانَ فِيهَا عِيدٌ مِنْ أَعْيَادِهِمْ؟**» قال: لاَ. قالَ: «**فأَوْفِ بِنَذْرِكَ**»، فدل قوله: (**هَلْ كَانَ فِيهَا وَثَنٌ مِنْ أَوْثَانِهِم**) أنهم كانوا يذبحون للأوثان، فإذن تعبُّد المشركين

بالذبح وبالنذر وبالدعاء ونحو ذلك هٰذا أمر معروف، ولم يكن شركهم من جهة أنهم يصلون لهم، أو أنهم يزكون لهم أو أنهم يحجون لها؛ لهٰذه الآلهة؟ لا، كانوا يحجون لله وكانوا يصلون، كانت لهم صلاة، وكانوا يغتسلون من الجنابة، وكانوا يذكرون الله ونحو ذلك مما ذكرناه من أنواع العبادات في أول هٰذا الشرح، إنما كان شركهم من جهة أنهم يدعون غير الله ويذبحون لغير الله ويلتجئون لغير الله، ويتخذون تلك الآلهة والأولياء والأنبياء وُسطاء بينهم وبين الله جل وعلا.

قال: (وَهَلْ كَانَتْ عِبَادَتُهُمْ إِيَّاهُمْ إِلاَّ فِي الدُّعَاءِ وَالذَّبْحِ وَالالْتِجَاءِ وَنَحْوِ ذَلِكَ، وَإِلَّا فَهُمْ مُقِرُّونَ أَنَّهُمْ عَبِيدٌ تَحْتَ قَهْرِهِ) يعني بما قال الله جل وعلا في آيات كثيرة في إقرار المشركين بالربوبية، (وَأَنَّ اللهَ هُوَ الَّذِي يُدَبِّرُ الأَمْرَ، وَلِكِنْ دَعَوْهُمْ وَالتَجَأُوا إِلَيْهِمْ لِلْجَاهِ وَالشَّفَاعَةِ، وَهٰذا ظاهِرٌ جِدًّا)، لاشك أنه ظاهر جدا وحجة واضحة مبنية علىٰ فهم حال المشركين، وقد أوضحنا حالهم مفصلا في أول شرح هٰذا الكشف المبارك .

بعدها انتقل إلىٰ مسألة الشفاعة، وهي مسألة طويلة تحتاج منا إلىٰ درس مستقل فنرجئها إن شاء الله تعالىٰ.

[**الأسئلة**] نجيب عن بعض الأسئلة.

سؤال (): كثيرٌ مما شُرح في الدرس الماضي لم يُفهم لدىٰ كثير من الإخوة، ولم نفهم إلا أشياء مما كانت تكرارا لبعض ما سبق؟

الجواب: هٰذه مشكلة؛ لكنها ليست مشكلتي، إنما هي مشكلة من حضر هٰذا الدرس دون مقدمات؛ لأن كشف الشبهات في الحقيقة ترددتُ كثيرا مثل ما تذكرون في الابتداء به؛ لأنه لا يصلح إلا لمن ضبط «ثلاثة الأصول» بشرحها، وضبط «كتاب التوحيد» بشرحه، فينتقل إلىٰ فهم كتاب كشف الشبهات، هٰذا من جهة.

والجهة الأخرىٰ أن أوائل هٰذا الشرح فيها كثير من المقدمات التي نحيل إليها فمن لم يستحضر ما ذكرناه في المقدمات في أوائل هٰذا الشرح ربما يخفىٰ عليه بعض المقدمات التي ينبني عليها الحِجاج.

وكما قال الشاعر:

غيري جنىٰ وأنا المعذَّبُ فيكم فكأنني سبابة المتندم

سؤال (): شخص ذهب إلىٰ القبر ولكن لم يدعُ صاحب القبر، ولكنه التجأ إلىٰ الله بإخلاص وصدق أن يكشف كربته، ولم يكن لصاحب القبر عند الدعاء شيء في قلبه، ولكن دعا الله بصدق هل هٰذا العمل جائز؟

الجواب أن هٰذا العمل بدعة وخيمة ووسيلة من وسائل الشرك؛ لأنّ تحري إجابة الدعاء عند قبور الصالحين والأولياء هٰذا يفضي إلىٰ اعتقاد أنّ لهم حُرمة، وأنّ لمكان قبرهم خصوصية، فيؤدي إلىٰ التوسل بهم وإلىٰ الاستغاثة أو الاستشفاع بهم، فالله جل وعلا يُسأل الحاجات في أي مكان، وأعظم الأمكنة التي يدعىٰ الله جل وعلا فيها المساجد وهي أحب البقاع إلىٰ الله، فمن أراد أن يُجاب طلبه وأن يُعطىٰ ما سأل فليتحرّ الأمكنة التي يحبها الله جل وعلا؛ المساجد وشبه ذلك وحِلق الذكر، وليتحرّىٰ أيضا أوقات الدعاء التي يجاب فيها، ويتحرّىٰ الدعاء الجامع ويتوسل إلىٰ الله جل وعلا بأسمائه وصفاته، ويكون عنده اضطرار وأشباه ذلك مما هو من أسباب إجابة الدعاء.

أما من دعا عند قبر لنفسه سأل الله جل وعلا ولو كان مخلصا فإنه مبتدع آثم علىٰ أمرٍ أكبر من الكبائر.

... لا، القبر ليس الفائدة منه أن تدعو عنده، القبر الفائدة منه أن تتذكر الآخرة، «**زوروا القبور فإنها تذكركم الآخرة**»، «**كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإنها تذكركم الآخرة**» والزيارة المشروعة هي التي فيها تذكّر والسلام علىٰ الأموات المسلمين وسؤال الله جل وعلا لهم والدعاء للميت، ويجوز أن يدعو لنفسه عَرَضا مع الدعاء للميت دون القصد، فأما أن يتحرىٰ الدعاء عند القبور فهو بدعة، أو أن يقصد الدعاء لنفسه عند القبور فهو بدعة أيضا؛ لكن يدعو لنفسه عرضا مع الدعاء للميت كما كان عليه الصلاة والسلام يقول إذا زار القبور: «**نسأل الله لنا ولكم العافية**» فهٰذا علىٰ جهة العرض لا القصد.

سؤال (): قال: قلت أن المشرك لا يشهد علىٰ نفسه بأنه مشرك فما معنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلۡكُفۡرِۚ﴾[التوبة:١٧]؟

الجواب: الشهادة في هٰذه الآية شهادة بلسان الحال لا بلسان المقال كما قال ابن كثير وغيره من المفسرين، الشهادة هنا كالشهادة في قوله جل وعلا: ﴿وَإِذۡ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَأَشۡهَدَهُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰۛ شَهِدۡنَآۛ﴾[الأعراف:١٧٢]، فهٰذه شهادة بلسان الحال لا بلسان المقال.

سؤال (): هل يجوز التوجه بالدعاء إلىٰ الله بالتوسل بجاه محمد عليه الصلاة والسلام أو بحق الصالحين من عباد الله؟

الجواب أن التوجه أو التوسل في الدعاء بالجاه بدعة ووسيلة من وسائل الشرك، فلا يجوز أن يدعو متوسلا إلىٰ الله بجاه نبيه أو بجاه عبد صالح أو بالحرمة أو بالمكانة أو ما أشبه ذلك.....[1]

والاعتداء في الدعاء بأن يدعو بما لم يؤذن به، هٰذا من جهة.

والثانية أن هٰذا الدعاء وسيلة إلىٰ الشرك بهؤلاء باعتقاد عظمتهم أو أنهم يشفعون أو ما أشبه ذلك.

والثالث أن السؤال بالجاه بجاه فلان وبحرمته سؤال بأمر أو بشيء أجنبي عن السائل وعن الداعي، والمشروع أن تسأل بشيء لك أو بشيء تملكه كالسؤال والتوسل بالعمل الصالح أو أن تسأل بأسماء الله جل وعلا وبصفاته أو أن تسأل الله جل وعلا بإيمانك وطاعتك لله، فهٰذا توسل بأمر لك وليس بأجنبي عنك، وعمل غيرك وحرمته وجاهه له وليس لك.

ولهٰذا ترك الصحابة رضوان الله عليهم هٰذا السؤال وهٰذا الدعاء فإنه اعتداء وبدعة ووسيلة إلىٰ الشرك.

سؤال (): يقول: كل ما أمر الله به عبادة وقد قال تعالىٰ: ﴿فَٱعۡفُواْ وَٱصۡفَحُواْ﴾[البقرة:١٠٩] هل هٰذا عبادة؟

الجواب: نعم إذا عفا متقربا بالعفو إلىٰ الله جل وعلا فقد تعبَّد، وإذا صَفَحَ متقربا بالصفح إلىٰ الله جل وعلا فقد تعبّد؛ لأن المأمور به عبادة إذا تقرب به، أما إذا فعله هكذا من غير قربة فليس بعبادة.

سؤال (): ما حكم قول بعض الصحف إن الغبار الذي أتىٰ مدينة الرياض هو بسبب دخول فصل الخريف؟

الجواب: إذا كان قول هٰذا القائل يعني به أنّ هٰذه الفصول تسبب هٰذه المتغيرات الكونية فإن هٰذا لا يجوز ومحرم وهو نوع شرك بالله جل وعلا، وإذا كان يجعلها زمنا وظرفا ووقتا أجرىٰ الله جل وعلا سنَّته أنه يحصل في هٰذا الوقت هٰذه الأشياء هٰذا لا بأس به، فيفرَّقُ في هٰذا الباب ما بين الباء التي للسببية و(في) التي للظرفية.

---

(١) يوجد مسح في الشريط.

فمثلا نقول: في الوسم تأتي الأمطار؛ لكن ليس معناه أنه بالوسم يأتي المطر، وإنما أجرىٰ الله سنَّتَه أنه في هٰذا الوقت الذي هو طلوع هٰذا النجم الذي هو الوسم وأشباه ذلك، طلوع أنجم يكون عنها الوسم، هٰذا ظرف ووقت يحصل فيه أنواع من سنة الله جل وعلا في كونه، إذا جاء نجم كذا جاء البرد؛ لكن مجيء البرد ليس بسبب النجم وإنما ظهور النجم وقتٌ للبرد؛ مثل ما يكون ظهور الهلال وقت لدخول الشهر، وليس هو الذي أدخل الشهر، وأشباه ذلك.

فإذن هٰذه الأشياء الفصول والأنجم إذا جُعلت ظرفا ووقتا فلا بأس، وإذا جُعلت سببا باستخدام الباء؛ باء السببية فإن هٰذا كقول من قال مطرنا بنوء كذا وكذا.

وفي هٰذا القدر كفاية، وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد.